مجلة دراسات إسلامية
المجلد : 18 العدد : 01 السنة : 2023
رقم ISSN 1112-8011
ص 79 – 96

الحوار والتسامح في الإسلام

Dialogue and tolerance in Islam

محي الدين عباسي *

المعهد العالي للعلوم الإسلامية بالقيروان، جامعة الزيتونة، تونس abbessimoheddine@yahoo.fr

تاريخ الارسال : 2022/12/11	تاريخ القبول : 2023/01/26	تاريخ النشر : 2023/06/20

ملخص:

يكتسي هذا البحث أهميّة كبيرة نظرا لراهنيته، لأنّه يبصّر بقيمتي الحوار والتسامح، سواء بين المسلمين أو مع غيرهم من الملل والنحل الأخرى، وتتمثل إشكالية البحث في أنه يوضّح المقصود بالحوار ويبيّن شروطه، ويعرّف التسامح ويبرز مجالاته، ويجلّي العلاقة بين القيمتين ودعوة الإسلام إليهما، ويرصد بعض الرؤى المضادة للحوار والتسامح، وتتلخص أهمّ نتائج هذا البحث في أهمية التبصير بقيم الإسلام الزكية، ومبادئه النبيلة ومنها الحوار والتسامح، وقيمة إبراز الصورة السمحة للدين الإسلامي الحنيف، وخاصة في علاقة المسلمين بغير المسلمين، وضرورة النأي بالعلاقات الإنسانية عن التصادم الصراع، وأن يحل محلّ ذلك التعايش والتعارف والتعاون والمنافسة المحمودة، وأثر ذلك على الأفراد والمجتمعات، كما يقدّم التوصيات والمقترحات الكفيلة بترسيخ القيمتين بين الناس جميعا، انطلاقا من دعوة الدّين الإسلامي الحنيف .

الكلمات المفتاحية: القيم، الحوار، التسامح، التعايش، الإسلام.

Abstract:

This research is very important because of its betting, because it sees the value of dialogue and tolerance. Whether among Muslims or with other boredom and other bees and the problem of research is that it clarifies what is meant by dialogue and sets out its terms, It defines tolerance and highlights its areas, demonstrates the relationship between the two values and the call of Islam to them, It monitors some anti-dialogue and anti-tolerance visions. The most important findings of this research are the importance of insight into Islam's authoritarian values. Its noble principles include dialogue and tolerance, the value of highlighting the

* المؤلف المرسل

tolerant image of the Islamic religion, Especially in the relationship of Muslims with non-Muslims, and the need to disassociate human relations from conflict clashes, That should be replaced by coexistence, knowledge, cooperation and commendable competition, and its impact on individuals and communities, It also offers recommendations and proposals to ensure that the values are established among all people, based on the call of the Islamic religion.

Keywords: **values**, **dialogue**, **tolerance**, **coexistence**, **Islam**.

مقدمة:

لقد خلق الله البشريّة وركز فيهم فطرا إنسانية سليمة أهمها الإيمان بالله وعبادته حقّ عبادته والأخوة في الدين والوطن والإنسانيّة والتعاون والحوار والحريّة ... وكل هذه الفطر السليمة والقيم النبيلة تدلّ على أن الإنسان مدنيّ بالطبع، لهذا لا يستطيع الإنسان أن يعيش منزويا في انكماش وتقوقع عن غيره، بل لا بد من جماعة ينضوي في سلكها، ويحسّ بإحساسها ويشعر بشعورها ويأخذ و يعطي، ويعين و يعان فالكل يرتبط بغيره ولا يستطيع أن ينكفئ عنه، وتلك من الحكم البالغة التي ركزها المولى عز وجل فينا، جبلّة فجعلنا مختلفين من حيث الدرجة والمهنة والحرفة والصفة لمصلحة اقتضاها وإدارة وقدرة ارتآها، وينطبق الأمر نفسه على الدّول والمجتمعات والحضارات، من حيث حاجتهم لبعضهم البعض، وارتباطهم بغيرهم خاصّة في عصرنا الحاضر، والذي زالت بين شعوبه ودوله الحدود والحواجز، وأصبح يموج بالتحوّلات والتقلّبات والتي وصلت في كثير من الأحيان إلى صدامات وحروب، وتقاتل وصراع. لهذا حثّ الإسلام على تكوين مجتمع قوي ومتحضر، يقوم على مبادئ تمتّن العلاقات بين الناس جميعا، وتجنّبهم التقاتل والصراع والصدام، ومن هذه المبادئ السّامية الحوار والتّسامح.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز الصورة الحقيقية والسمحة للإسلام، وخاصّة من خلال قيمتي الحوار والتسامح سواء بين المسلمين أو مع غيرهم من الملل الأخرى، وأن لا تكون القيم الإسلامية شعارا يرفع بل فعلا يُنجز وسلوكا يُعاين، من خلال العلاقات الإنسانية التي ينبغي أن تكون مبنية على التعايش والتعارف والتعاون، بعيدا عن الصراع والتصادم، وذلك بغاية تحقيق الرقي والتقدم للأفراد والمجتمعات، وأهمية تضافر الجهود بين الإنسان وأخيه الإنسان أينما كان، بقطع النظر عن الجنس أو اللون أو اللغة أو الدين، لأنّ المسؤولية مشتركة بين الجميع، لنشر القيم التي حثّ عليها الإسلام، ومنها الحوار والتسامح، وتبعا لذلك استعملت المنهج الوصفي، للإجابة عن إشكالية البحث المتمثلة في السؤال التالي : ماهي أهمية الحوار والتسامح من خلال دعوة الإسلام إليهما ونهيه عن التصادم والصراع بين الإنسان وأخيه الإنسان ؟

1. مفهوم الحوار :

جاء في معجم لسان العرب المحاورة والتحاور: التجاوب وتقول كلمته فما أحار إلي جوابا، وما رجع إلى حوارا أي ما رد جوابا، واستحاره أي استنطقه، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام في المخاطبة،

والحوار آلية تقضي إلى الإيجاب أو إلى القبول وهي بمعنى التبادل و الجدال [1]قال الله تعالى: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا)، [2] وقوله عزّ وجلّ أيضا: (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)،[3] فالحوار هو التبادل والجدال قال الله سبحانه وتعالى: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ).[4]

2. أنواع الحوار :

أول معيار لتصنيف الحوار يستند إلى طبيعة الأفق الذي يحدد مناخ الحوار ويمكن أن نقسمه إلى جنسين، الأول هو جنس الحوار القائل بتعالي أفق الحوار على الأفق الجمعي أو الحضارة، وهو من جنس الحوار الوحيد الذي يمكن اعتباره سويا ولنطلق عليه اسم الحوار الاستخلافي لكونه يعتبر الأفق الحضاري مشدودا بأفق يتعالى عليه، فيؤمن بأنّ الإنسان ليس إلا خليفة، والثاني هو جنس الحوار القائل بعدم تعالي أفق الحوار على الأفق الجمعي، إما بتصوّر المتعالي فيه أو بنفي المتعالي أصلا، وهو الحدّ الذي إذا بلغه موقف المحاور صار حوارا غير سوي، ولنطلق عليه اسم الحوار الحلولي، لكونه يعتبر الأفق الحضاري مطلقا لا يتعالى عليه شيء، فيزعم المطلق قد حلّ في الإنسان .[5]

وهناك حوار تامّ بدايته التعايش وغايته التعارف، وهو الذي يمكن أن يُعدّ غاية للحوار بمفهومه الشّامل، هو حوار التّعارف بين البشر الذين أدركوا وحدتهم الأصليّة في الأخوة الآدميّة المتعالية على الأشكال الحضاريّة، من أجل تعميق الأخوّة بكلّ وسائل الاجتهاد الذي يُعدّ الحوار سبيله الرئيسي، لكونه يمكّن من التّواصي بالحقّ والتّواصي بالصبر.

وبذلك يتبيّن أن الحوار بمفهومه الشامل، يتألّف من بداية وغاية، يربط بينهما قابليّة البداية للتطوّر بفضل الانشداد إلى الغاية عندما يوجد من يسعى لترسيخ هذه القيمة، ذلك أنّه يمكن أن ترضى بالحدّ الأدنى، عندما يكون الحوار بين الملل المختلفة لتحقيق أدنى درجات الحوار، وخاصّة في المجال العملي بين النّاس جميعا، وذلك هو أسمى درجات الحوار، إنّه التواصل الحواري الذي يقصد الكشف عن الحقيقة، وتحقيق المصادقة بين المتحاورين ولنسمّه شهوديّا،[6] والحوار التامّ هو الذي يصل بين مجالي التعامل البشري النظري والعملي، وصلا يطابق بينهما على الحقيقة، وهو لا يحصل في أتمّ صوره إلا بين المؤمنين.

وحوار ناقص وهو الذي يمكن أن يُعدّ بداية الحوار بمفهومه الشامل، هو حوار التّعايش بين البشر الذين لم يدركوا بعد وحدتهم الأصلية في الأخوة الآدمية، ومن أجل تحقيق شروط هذا الإدراك بكل وسائل الاجتهاد التي يُعدّ الحوار إحدى سبلها لكونه بداية الدّعوة إلى الحقّ.

والحوار النّاقص هو الذي يفصل بين مجالي التعامل البشري النظري والعملي، فصلا يُزيل التّطابق بينهما، وتلك هي علامة الزيف أو النفاق، ويكون عادة بين غير المؤمنين، إنه التّواصل الحواري الذي يقصد التّعمية على الحقيقة، لتحقيق المخادعة بين المتحاورين ولنسمّه حوارا جحوديّا، وقد يصبح مطلق الجحود إذا لم يكن بداية مشدودة إلى الغاية فيصبح بداية بلا غاية لذلك لا يحقّ للمؤمنين استعماله بهذا الإطلاق حتى مع الأعداء لتنافي أخلاق الغدر مع الإيمان.[7]

ونستنتج مما ذكرنا أن للحوار مدلولين الأول: جحودي ناقص لكون الحقيقة والعمل بها، مطلوبين لذاتهما بل هما من أجل الباطل والعمل به، والثاني: شهودي تامّ لكون الحقيقة والعمل بها فيه مطلوبين لذاتهما وليس من أجل الباطل والعمل به، فأمّا الناقص فهو حوار المخادعة وهو الحوار الجامع بين متناقضين مصادقة الذات لمصادقة الغير إيمانا بالأخوة الإنسانية في الموقف الشهودي، والحوار التام بإطلاق والحوار الناقص بإطلاق لا بدأن يوجدا في الواقع الفعلي، والحوار الواقع في الوجود الفعلي، مفهوم أوسع لكونه دون الأولين إطلاقا، لذلك فهو لا يكون إلا نسبيّا.[8]

فالحوار إما أن يكون إيجابيا، وإما أن يكون سلبيا، والحوار الإيجابي هو الحوار السوي وهو الحوار التام غايته التعايش والتعارف بين الناس، من أجل تعميق الأخوة والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، يقول الله تعالى : (وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)،[9] هو أسمى درجات الحوار، إنه التواصل الحواري الذي يقصد الكشف عن الحقيقة، وإذا توفر الحوار التام المستند على العقل والموضوعية، بقصد تحقيق المصلحة المشتركة مع تجنب العناد والتعصب والزيف والنفاق، حصل التسامح واللين والوفاق في التعامل مع الآخر.

والحوار السلبي هو الحوار غير السوي، وهو حوار ناقص مبني على التعصب والعناد وعدم احترام الرأي الآخر، وهو حوار المخادعة والتعمية عن الحقيقة، ولا يحقّ للمسلم استعماله حتى مع غير المسلمين، لتنافي أخلاق الغدر مع الإيمان، لأنّ المسلم لا يغدر ولا يخادع .

3. شروط الحوار :

للحوار شروط عديدة من أهمّها الاقتناع به، والاعتراف للآخر بحقه في الحوار، أي عدم رفض رأي الطرف الآخر، وعدم الاستبداد بالرأي، وأن يكون الحوار مرتبطا بقضية أساسها تحقيق المصلحة المشتركة، بتحكيم العقل والاستناد إلى الصدق والموضوعية، والتنزه عن الأفكار المسبقة، وتجنب العناد والتعصب، والتسليم للنتائج، والحرص على احترام الآخر.

4. مفهوم التسامح :

جاء في معجم لسان العرب سمح لي فلان أي أعطاني واسمح وسامح وافقني على المطلوب والمسامحة المساهلة وتسامحوا تساهلوا..، أي المساهلة في الأشياء تربح صاحبها، وسمح له بحاجته وأسمح أي يسهل له، وقولهم الحنيفية السمحة ليس فيها ضيق ولا شدة، وما كان سمحا وسماحة وجاء بما لديه، وأسمحت الدابّة بعد استصعاب لانت وانقادت وأطاعت وأسرعت.[10]

والتسامح يعني توخّي مسلك التساهل واللين في التعامل مع الغير، والابتعاد عن الشدّة والعسر والتساهل، يفسره الشّيخ محمّد الطاهر بن عاشور بقوله: « هو لفظ رشيق الدّلالة على المعنى المقصود لا ينبغي استبداله بغيره ».[11]

وتفيد كلمة التسامح مدنيا الإذن والترخيص والسماح للغير، بآداء طقوسهم بحرية، وتفيد من الوجهة الفلسفية قبول مبدأ يفرض عدم اضطهاد كل من اعتنق دينا مخالفا للدين الرسمي المتبع في أي مجتمع، وتعني كلمة التسامح من الوجهة الدينية التساهل مع الغير في مسألة الدّين غير الأساسية .

وهناك نوعان من التسامح، الأول هو التسامح الشّكلي، ويقصد به أن تترك الأديان وشعائرها وشأنها، والثّاني هو التسامح الموضوعي، ويقصد به الاعتراف الإيجابي بالأديان الأخرى على أنّها مذاهب ممكنة لعبادة الله.

5. مجالات التسامح :

إن مجالات التسامح كثيرة ومتعددة نذكر منها الآتي:

1.5. التسامح الديني: ويعني أنّ أفراد كلّ الأديان لهم حقّ ممارسة شعائرهم الدينية، وعدم إكراههم عن الدخول في أي دين آخر، والتخلّي عن التعصب العقدي والمذهبي، ونجد ذلك في دعوة في القرآن الكريم في قول الله تعالى: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)، [12] وقوله عزّ وجلّ: (أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)،[13] وقوله سبحانه : (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)،[14]ومع ذلك يبرز المسلمون مميزات الدين الإسلامي، ويرغّبون النّاس في الدخول فيه دون إكراه، لأنّه الدّين الحقّ، وتعريف المسلمين بدينهم، وما يتصف به من قيم سامية، ومبادئ نبيلة، ودعوتهم إلى حسن التعامل فيما بينهم ومع غيرهم من الأمم الأخرى، يكون بعتماد الحكمة والموعظة الحسنة، لقول الله عزّ شأنه: (ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).[15]

2.5. التسامح الفكري والثقافي: ويعني احترام الرأي المخالف، وعدم التعصب للأفكار وفق أدب الحوار، فحرية إبداء الرأي حقّ لكل إنسان، بغض النظر عن دينه ومعتقده، فالتسامح الفكري يقتضي الإقرار « بتنوّع الآراء والقناعات والأفكار والأخلاق النّاجمة عناها »،[16] وإنّ عدم الوعي بحق الآخر في التفكير أو صدّه عن إبداء الرأي وعدم الاعتراف له بصواب اجتهاده، يؤدّي إلى التنافر والتصادم وتضييق الصدور وتصل إلى الجحود والجمود، والمرض الفكري، وعدم الاجتهاد، وعندها « لا يُباح أمام المفلس الفكري إلاّ أن يضع يده على زناد مسدسه أو بندقيته ليُسْكِت عقل الآخر».[17]

فالفكر التّسامحي يتّسم برحابة الصدر والمرونة وقبول الاختلاف، و يقابله الانغلاق والتعصب ورفض الرأي الآخر.

3.5.التسامح العلمي: يُعدّ التسامح العلمي من مجالات التسامح، لأنّ البناء العلمي يلزمه التسامح، ويحتاج إلى التواضع العلمي والفكري، وقبول جهود الآخرين، واحترام علومهم ومعارفهم، بقطع النظر عن هوياتهم ومعتقداتهم، لأنّ المعرفة العلميّة تراكميّة، يُسهم في بنائها كلّ البشرّ وجميع الحضارات والثقافات على مرّ التاريخ الإنساني، كما أنّ البناء العلمي يعرقله التعصب، والتحجر العلمي، وضيق الأفق، وإنكار جهود الآخرين، وعدم الانفتاح على العلوم والأفكار والمنجزات في كل زمان ومكان.[18]

إنّ الحقيقة العلميّة موزعة بين البشر ولا تمتلكها فئة دن أخرى، وهذا يقتضي التواصل المتواصل، والانفتاح المستمر، بهدف الإفادة والاستفادة، والتعلم والتعليم، في كنف الاحترام والحوار والتسامح وحرية التعبير، وهذا إذا تمّ فإنّه « يوفّر مناخا مناسبا لتلاقح الأفكار وتطورها من خلال النقد البناء، والحوار الهادف، ممّا يخلق مزيدا من التطور والإبداع في الفكرة، وذلك بعكس الاحتكار العلمي والمعرفي ».[19]

4.5.التسامح الاجتماعي: تحتاج المجتمعات اليوم للتسامح الاجتماعي نظرا لأنّ التقارب بين الناس والتفاعل بينهم، يزداد يوما بعد يوم، بفضل الثورة المعلوماتية والتكنولوجية والاتصالية، التي « أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية صغيرة ».[20]

إنّ سلوك التسامح يؤصّل للرحمة الإنسانيّة، ويرسّخ المودّة والألفة والأخوّة والتّعاون والتّقارب والحوار بين النّاس، وينبذ التعصب والكراهية والبغض والحسد والضغينة وسوء الظن بالآخر، وهي آفات « تكرس النزاعات العدوانية والانتقامية وتراكمها، حتّى تصل حد التدمير، وإفناء الآخرين، وقد يكون ذلك الآخر أخا، أو جارا، أو زميلا، اتجه اتجاها مخالفا، أو سلك مَسْلكا فكريا مخالفا »،[21] فالتسامح الاجتماعي هو قبول للآخر وإيثار للغير، حتى « يصبح هذا السلوك سمة ثابتة عندهم، وسجيّة مطبوعة لديهم »،[22] وهو كيفيّة للعيش والسماح للغير به، في كنف الاحترام المتبادل، من حيث « ترك مساحة للآخرين تختلف رؤاهم عن رؤية بقية أفراد المجتمع »،[23] وذلك بهدف تحقيق الانسجام والوئام، والتوافق والتقارب، في هدوء وسلام « لتأمين التعايش في إطار التباين »،[24] سواء تعلق الأمر بين المسلمين بعضهم البعض أو مع غيرهم من الملل والنحل الأخرى.

6. دعوة الإسلام إلى الحوار والتسامح ونهيه عن التصادم والصراع :

يعتبر الحوار والتسامح قيمتين أساسيتين في جبلة الإنسان، بهما يتم التعارف وتنتصر إرادة التعاون، بقطع النظر عن الجنس أو النسب أو اللغو أو الدّين، يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)،[25] و« إنّ استعمال لفظ النّاس دون لفظ المؤمنين، إنما كان للتذكير بأنّ أصلهم واحد، أي هم في الخلقة سواء، يتوسل بذلك إلى أنّ التكافل والتفاخر إنّما يكون بالفضائل، وإلى أنّ الفضائل في الإسلام بزيادة التقوى»،[26] ففي التقوى يكون التنافس والتفاضل، وهذا هو المعنى الوارد في خطبته صلّى الله عليه وسلّم في حجّة الوداع إذ قال: «يا أيّها النّاس إنّ ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلّكم لآدم، وآدم من تراب، لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ إلا بالتّقوى إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم »،[27] لذلك تفاعل الإسلام مع الحضارات الأخرى، فأثّر فيها وأفاد منها وحافظ مع ذلك على شخصيته المبنية على التوازن والاعتدال والوسطية، رافضا الغلو والتطرف ومشاركا في صوغ الحداثة وإنماء الحضارة يقول الله سبحانه: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)،[28] فإذا ما توفر الحوار التام المستند إلى العقل والموضوعية بقصد تحقيق المصلحة المشتركة، مع تجنب العناد والتعصب والزيف والنفاق، حصل التسامح واللين والوفاق في التعامل مع الآخر، وتمّ تجنب الشدة والمغالاة، سواء بين المسلمين في علاقاتهم مع بعضهم البعض، أو مع غيرهم من الملل الأخرى .

1.6. الحوار والتسامح بين المسلمين :

ومن حكمة الله تعالى أن ركّز فينا فطرة، فجعلنا مختلفين من حيث الدرجة والمهنة، والحرفة والصفة، والفهم والإدراك، لمصلحة اقتضاها، وقدرة ارتآها، لذلك كان الحوار ضروريا بين النّاس، لتبادل الرؤى، ولتمتين العلاقات، وللتّراحم والتّعارف فيما بينهم، كما

أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في انكماش وتقوقع عن غيره، بل لا بد من جماعة ينضوي معها ويحس بإحساسها، ويشعر بشعورها، ويأخذ ويعطي، ويعين ويُعان، فالكلّ مرتبط بغيره، وتلك من الحكم البالغة التي ركزها الله فينا جبلّة، لهذا جعلنا مختلفين.

لهذا أمر الإسلام بالتعاون والتحابب والحوار والتسامح ونهى عن الكره والتباغض فلا يجوز لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث أيام فعن أنس رضي الله قال، قال الرسول ﷺ: « لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »،[29] وقال عليه الصلاة والسلام : « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا »،[30] وقد نبّهنا الإسلام إلى أنّ الاختلاف لا ينبغي أن يكون مدعاة للغضب وسببا لإحداث الفرقة لأنّه أمر طبيعي، إذ يقول الله تعالى : (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)، [31]

كما أكّد على قبول الرأي المخالف والتشاور، ودعا إلى إعمال العقل، ونبذ التقليد والتعصب، بحيث لا يتعصب الإنسان لرأيه بل يقبل رأي غيره حتى ولو كان متعارضا مع رأيه، ولنا في استشارة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم لصحابه سواء في غزوة بدر الكبرى أو في غزوة الخندق (الأحزاب) خير مثال على ذلك، حيث كان النّبي ﷺ يقبل الرأي المخالف لرأيه، ويتخير ما هو أوفق وأنسب.

ولتثبيت هذا المبدأ، أمر الإسلام أن يكون أسلوب الدّعوة قائما على اللين والحكمة والمجادلة بالتي هي أحسن قال الله عزّ وجلّ: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)،[32] وهذا " المبدأ إذا تخلّق به المرء أصبح ينظر إلى الاختلاف نظره إلى تفكير جبلي، تتفاوت فيه المدارك إصابة وخطأ، نظره إلى الأمر العدواني المثير للغضب ".[33]

ولئن دعانا الإسلام إلى مكارم الأخلاق وحسن المعاملة، فيما بين المسلمين مع بعضهم، فإنه لم يغفل الدعوة إلى الحوار والتسامح مع غير المسلمين، بغاية تحقيق التعارف والتعايش، بقطع النّظر عن الجنس والنّسب أو اللغة أو الدّين يقول الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا).[34]

2.6. الحوار بين المسلمين وغير المسلمين :

إنّ اتّصاف الرّسالة المحمديّة بالعموم، بمعنى أنّها موجّهة للنّاس جميعا، يفيده قول الله سبحانه وتعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)،[35] جعلها تسعى إلى تحقيق التّقارب بين النّاس جميعا وتعمل على نشر قيم التعاون والتسامح والحوار بينهم ، و« بناء على ذلك ضمن مقتضيات ذلك الدّين الموجّه إلى عموم البشر، أن تسعى إلى تحقيق التقارب بين الإنسان وجلب المنفعة إلى الجميع »،[36] فينبغي حينئذ أن تُتمثل المبادئ العامّة للدّين الإسلامي، المقامة على حبّ الغير والحوار والتّسامح والتّضامن والتعاون...

لذلك بيّن الإسلام آداب المناقشة ومجادلة المخالفين من أهل الكتاب، وهي مجادلة أساسها العقل، وعمادها الإقناع، (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ). [37]

ورسم القرآن الكريم كيفية معاملة المسلمين لمخالفيهم في الدين، يقول الله تعالى: (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)،[38] وأعطى حرية الاعتقاد، يقول اعزّ وجلّ: (لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ). [39]

وحثّ الإسلام على حسن المعاملة مع من تقتضي مخالطتهم من أهل الملل الأخرى ولهذا أكّد على أن الاختلاف ضروري في جبلّة البشر، يقول الله سبحانه: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ). [40]

كما اعترف الإسلام بكل أنبياء ورسل بني إسرائيل، ودعا " المسلمين إلى التحلّي بالتسامح إلى أقصى حدّ ممكن تجاه متبعي الأديان الكتابية "،[41] وسور القرآن كثيرة والآيات التي « نجد فيها ذكرا لاحترام الديانات الأخرى وحريّة المعتقدات واحترام جميع الآراء بست وثلاثين سورة وخمس وعشرين آية ».[42]

إنّ احترام عقائد الآخرين والتحاور معهم وقبولهم وتجنب التعصب هو أساس التسامح والأخلاق الكريمة والسلوك الحضاري، وذلك بتقبل الرأي المخالف بنفس مطمئن وصدر رحب ولسان صادق فتحسن معاملته ويتهذّب إحساسه، ويبتعد عن الحنق والبغض لمن خالفه في الدين، فيتأسّس بذلك مبدأ إبداء الرّأي والتّشاور والاختلاف في الرأي، ويتركّز بذلك منهج الاعتدال والوسطية والحوار والتسامح وأثر ذلك على الفرد والمجتمع،« فمخاطبة الأغراب لا سيّما إذا كانوا من أولي الألباب تجلب للأوطان المنافع العموميّة »،[43] و« شأن النّاقد البصير تمييز الحقّ بعبارة النّظر في الشيء المعروف عليه قولا وجده كان أو فعلا، فإن وجده صوابا قبله واتبعه سواء كان صاحبه من أهل الحق أو من غيرهم، فليس بالرّجال يُعرف الحقّ بل بالحقّ يُعرف الرّجال»،[44] و« وكلّ يتمسك بديانة وإن كان يرى غيره ضالاّ في ديانته، قد لا يمنعه من الاقتداء به، يقتدون بغيرهم في كل ما يرونه حسنا من أعماله».[45]

كما أباح الإسلام طعام أهل الكتاب وتحليله لذبائحهم وإباحته الزواج من نسائهم يقول الله عزّ وجلّ: (وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَاب).[46]

ومن مظاهر ذلك أيضا تسمية أهل الكتاب بأهل الذمّة ولفظ الذمّة معناه ذمة الله وعهده ورعايته وهذا من قمة التسامح مع أهل الكتاب وقد ورد عن الرسول صلّى الله عليه وسلّم في التوصية بهم « من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة »،[47] ويقول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: « من قتل معاهدا له ذمة الله وذمة رسوله لم يرح رائحة الجنّة وأنّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما »،[48] ومن مظاهره أيضا حضور الرّسول ﷺ ولائم أهل الكتاب وتشييع جنائزهم وعيادة مرضاهم وزيارتهم وإكرامهم، حيث روى أنّه لما زاره وفد نصارى نجران، فرش لهم عباءته، ودعاهم إلى الجلوس عليها.

ولم يُهمل فقهاؤنا حقوق أهل الذمّة، فقد نصّوا على وجوب الرّفق بهم ، و« عقد الذمّة يوجب لهم حقوقا علينا لأنهم في جوارنا في حضارتنا وفي ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلّى الله عليه وسلّم ودين الإسلام فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو نميمة في عرض

أحدهم أو أي نوع من أنواع الأذيّة أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمّة الله تعالى وذمة رسوله صلّى الله عليه وسلّم وذمّة دين الله ».[49]

ومن مظاهر هذا التسامح العملي أنّ العرب المسيحيين الذين يعيشون في كثير من بلاد المسلمين إلى وقتنا هذا يمثّلون شهادة قاطعة على هذا التسامح، والتاريخ يؤكّد ذلك أن المسلمين مازجوا أُمما مختلفة الأديان دخلوا تحت سلطانهم من نصارى العرب ومجوس الفرس ويعاقبة القبط وصائبة العراق فكانوا مع الجميع على أحسن ما يعمل به العشير عشيره فتعلموا منهم وعلموهم وترجموا كتب علومهم وجعلوا لهم الحرية في لإقامة رسومهم واستقبلوا لهم عوائدهم وما يدل على وصول المسلمين إلى درجة من التسامح لم تعرفها أكثر الحضارات الأوروبية تقدما يقول الثعالبي : « تلك المحاكم الحديثة العهد كانت تنظر في القضايا والنزاعات الناشئة بين الأهالي والفاتحين »،[50] وردّ فعل الرّسول عليه الصلاة والسلام يوم فتح مكة، أدل على ذلك حيث قام على باب الكعبة يخطب قائلا : « يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم، قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ».[51]

والإسلام يدعو إلى التعايش السلمي وإلى الحوار والتسامح ولا يقصي متّبعيه عن كل حركة تقدميّة وحضارية، ولا يكسبهم عادات متوحشّة تجعلهم قليلي المعاشرة، كما يحثّ على التفاعل مع الحضارات الأخرى، فيؤثّر فيها ويستفيد منها، ويدعو المسلم إلى أن يحافظ على شخصيته المبنية على التوازن والاعتدال والوسطية، رافضا الغلو والتطرف، ومشاركا في صوغ الحداثة وإنماء الحضارة، يقول الله تعالى: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)،[52] ويقول عزّ وجلّ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ)[53].

7. الرؤى المضادة للحوار والتسامح :

في التصوّر الكنسي يأتي مفهوم الحوار بمفهوم سلبي، فهو يتمثّل في الإبقاء على بعض الشرور، لأنّ منعها كما ذهب إلى ذلك توماس الإكويني[54] سيؤدّي إلى فقدان خيرات أكبر أو إحداث شرور أكثر، وقد ورد في إنجيل لوقا « أرغموهم على الدّخول »،[55] أي أرغموا أهل الأديان الأخرى من غير المسيحية، وهو ما ارتكن إليه القديس أوغسطيس[56] لإرغام غير المسيحية إلى الدخول فيها، بدعوى أن ذلك يؤدّي إلى تعليمهم وقد صار في عهده اعتناق المسيحية شرطا لكي يعتبر الشخص مواطنا في الدولة، كما أقيمت محاكم التفتيش، وكان اضطهاد الأديان الأخرى وهو القاعدة طوال العصور الوسطى .

وفي نفس هذا المسار نجد مفكرين غربيين وفي مقدمتهم برنارد لويس[57] وفوكوياما[58] وهنتنغتون،[59] يدعون إلى الصّراع وإلى غلبة الحضارة الغربية على كل الحضارات في العالم، حيث يرى برنارد لويس أنّ مصلحة الغرب تكمن في الصراع، وأمّا فوكوياما فيرى أنّ الصراع بلغ نقطة لا عودة من بعدها، لذلك سمَّى كتابه " نهاية التاريخ"، والذي يعني غلبة الحضارة الغربية وانتصار الرأسمالية بصورة نهائية، ويرى « انطلاقا من مفهومه للتاريخ تفسيرا أو حركة أو مسارا .. أنّ الديمقراطية الليبراليّة قد تشكّل نقطة النّهاية في التطوّر الإيديولوجي للإنسانيّة »،[60] أي أنّ التاريخ أغلق تماما أمام الإيديولوجيات المغايرة للرأس ماليّة الغربيّة وهذا خلاصة كتابه " نهاية التاريخ وخاتمة الشر" .

أمّا هنتنغتون فيرى أنّ الحضارة المدنية اليوم هي حضارة غربية، ومن ثم وجب أن تسود القيم الغربيّة السياسيّة والاقتصاديّة العالم، ويعتقد بتفوّق الغرب على العالم غير الغربي وبتفوق المسيحيّة وتميزها، واللغات الأوروبية الموروثة عن اللاتينية، حيث يختلف في تقديره الغرب عن معظم الثقافات الأخرى، في تعدد لغاته وتميزه، وبفصله بين السلطات الروحيّة والسلطة الزمنيّة، ويقول أنّ الفردانية هي السّمة الرئيسيّة المميزة للغرب خلافا للحضارات الأخرى التي تسودها الجماعيّة، وأنّ روح الفردانيّة هي المؤسّسة لتراث الحقوق والحريّات السائدة في المجتمعات الغربية المتحضرة،[61] وهذا التّحليل الثّقافي الذي أراد هنتنغتون من ورائه إثبات أصالة الغرب وتميزه التاريخي عن " الكثرة غير الغربية ".

يعتقد هنتنغتون أنّ المشكلة بالنّسبة للغرب هي الإسلام، فهو حضارة مختلفة، وشعبها مقتنع بتفوق ثقافته، وهاجسه ضآلة قوّته، ويقول بأنّ مشكلة الإسلام هي الغرب وهو حضارة مختلفة، وشعبها مقتنع بعالميّة ثقافته، ويعتقد أنّ قوّته المتفوّقة إذا كانت متدهورة، فإنّها تفرض عليه التزاما بنشر هذه الثّقافة في العالم، هذه هي المكوّنات الأساسيّة هي التي تغذّي الصّراع بين الإسلام والغرب.[62]

إن خطورة هذه الأراء إنّما يتمثّل تزامنها مع الحرب الباردة، وبروز فكرة النظام العالمي الجديد، وفكرة نهاية التاريخ التي أعلنها فوكوياما، وهي دقٌّ لطبول الحرب وإذكاء لنار الفتنة، واستغلال للخلافات والصراعات بين الدول الإسلامية، ومساندة الجماعات الموالية للغرب، والمتعاطفة مع قيمه ومصالحه، ودخول فعليّ في الصّدام، وقد دفع هؤلاء إلى القول بغلبة القيم الغربيّة، بحكم الاستعلاء الذي كان لهم عبر قرون نتيجة لتراكمات تاريخية، وأمّا رفضهم للحوار بين الحضارات واعتبارهم الحضارات متصادمة تصادما حتميا، فهو موقف يكشف عن نزعة استعماريّة تهدف إلى الاستيلاء على ثروات العالم الإسلامي.

لئن يأتي مفهوم الحوار بمفهوم سلبي واضطهاد الأديان والخشية من فقدان خير أكبر هو القاعدة طوال العصور الوسطى المسيحية، فإنه ظهرت نداءات متكرّرة لإرساء أسس الحوار والتسامح في المسيحية، يؤكد ذلك دعوة مارتن لوثر حيث جاء فأرسَى أُسس الحوار والتسامح، وكانت دعوته موجّهة ضد البابا والكنيسة آنذاك، فقد أكّد حريّة الاعتقاد والفصل بين الروحي والدنيوي، وطالب بإلغاء محاكم التفتيش، كما ظهرت آراء ترفض الإكراه وترى أن القهر ليس هو الوسيلة الصّحيحة لهداية النّفوس الضالة.

ولئن قرر هنتنغتن أنّ التاريخ قائم على الصراع، فإنّ التاريخ ليس مثاليا حتى ينعدم فيه الصراع، ولكن يمكن أن يكون مبنيّا على المنافسة دون الصراع، يقول الله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ).[63]

كما أن اقتراحات هنتغتون تخصّ حضارته الغربية لا الإنسانية جمعاء، حيث يدعو في نهاية كتابه بشكل واضح إلى تخلّي الغرب عن فكرة عالميّة ثقافته، والاكتفاء بحدود غربية تلك الثقافة حيث يقول: « إنّ عالميّة الغرب خطر على العالم لأنّها قد تؤدّي إلى حرب بين دول المركز في حضارات مختلفة وهي خطر على الغرب لأنّها قد تؤدي إلى هزيمته".[64]

ولقد انتقد مفكرون ومثقفون عرب المقاربات والأطروحات الغربيّة الداعية إلى الصراع بين الحضارات،

ومنهم ادوارد سعيد ومُحَّد عابد الجابري ردا على طرح هنتنغتون، حيث يقول ادوارد سعيد في كتابه "خيانة المثقفين"، أنّ براهين هنتنغتون على صدام الحضارات، « تعتمد على فكرة غامضة لشيء يسمه هنتغتون بالهويّة الثقافية »،[65] ويضيف أنّ هنتنغتون « يريد أن يجعل (الحضارات) و(الهوية) على ما هي ليست عليه : كينونات مغلقة بإحكام، ومسدودة تماما تطهّرت من آلاف التيّارات، والتيّارات المضادّة التي تُحي وتنشّط التّاريخ الإنساني ».[66]

كما قرر مُحَّد عابد الجابري في كتابه " قضايا الفكر المعاصر" أنّ كتاب هنتنغتون « يطرح فكرة غير معقولة في ذاتها »،[67] ويضيف إنّ « صدام الحضارات من الناحية العلميّة مجرد وهم .. فكرة غير معقولة، إذ يجب أن تكون الحضارات عبارة عن صحون أو سيارات أو ما أشبه هذا وذاك، حتى يمكن تصورها تتصادم.. ولكن الفكرة من ناحية الاستراتيجيّة السياسيّة والعسكريّة والثقافية تنطوي فعلا على تحمل قضيّة، وبما أننا نحن العرب والمسلمين على رأس المستهدفين فيها فمن الواجب المساهمة في فضحها .. فضلا عن وجوب تعميم الوعي بمضمونها وأهدافها ».[68]

ولقد تفطن بعض الفلاسفة الغربيين للخلل الذي يعتري القيم الغربية فهي قيم عقلية تنقضها المصلحة وينالها التبرير، ومن هؤلاء الفلاسفة ماكس فيبر الذي اعتبر أن العقل الغربي عقل أداتي جاف يصنع التقدم و يفني البشرية في الوقت نفسه، ومعنى ذلك أنّ المصلحة هي التي تحدّد القيمة، فإن كانت المصلحة في السّلم فالسّلم في القيمة، وإن كانت المصلحة في الحرب فالحرب هي القيمة، وعلى العكس فإنّ القيم الإسلاميّة ثابتة لا تقبل التبرير، وهو أمر يكسب المسلمين أرجحيّة التقدّم، إن أخذوا بأسباب العلم والتقنية .

كما خاطب روجيه غارودي الغرب مؤكّدا على أنّ «حوار الحضارات أصبح ضرورة عاجلة لا سبيل لردها وأنه قضية بقاء»، وأضاف « قد بلغنا حد الخطر بل لعلنا تجاوزناه.. واستئناف حوار حضارات الشرق والغرب.. وإدراك ما نُدين للثقافات والحضارات غير الغربية، هو اليوم السبيل الوحيد الذي بقي مفتوحا أمامنا للخروج من مأزق الخوف ».[69]

إن حوار الحضارات مشروع مهمّ « يستهدف مجاوزة حالة النفور والحرب الخفيّة القائمة اليوم، ويتطلّع إلى غد قوامه الحوار والتّفاهم والسّلام، وبالتّالي إرساء القواعد المكينة لمجتمع إنساني تعدّدي ».[70]

الخاتمـــة :

إنّ الحوار والتسامح قيمتان إنسانيتان، يتميّز بهما الإنسان فردا أو جماعة وشعوبا وأمما، ولكي يتحققا وجب تكريسهما في كل المجالات واعتمادهما في كل المواقف من قبل الجميع مسلمين مع بعضهم البعض أو بين المسلمين مع غيرهم من الملل الأخرى، وذلك تجنبا لكل الخلافات، وكل مظاهر التفرق والانقسام والعنف والتعصب والانغلاق والتطرف، ولا بد لنا من تربية تلقن معنى الحوار وذلك لا يعتبر ضعفا بل أن الإنسان الذي يحاور هو في موقف قوة، فيشعر بتلك الأريحية السامية والسعادة الروحية، التي يتصف بها الإنسان دون سائر المخلوقات .

وهكذا فالحوار والتسامح من القيم التربوية التي يجب غرسهما في الناشئة منذ الصغر، وإذا تربّى النّشأ

عليهما، وتحلّى الآباء بالقدوة، وترسّخت القيمتان في المناهج التربوية، فيمكن أن نُنشئ ذلك المجتمع الذي نصبوا إليه، المبني على المحبة والتراحم والتسامح والحوار... فيشعر فيه الفرد بالأمن والسعادة بما يبديه كلّ فرد من احترام للآخر مهما كانت عقيدته وآراءه .

وهذا الرصيد القيمي لو ساندته قوة العلم لسار الإنسان إلى ما هو أسمى من مراتب الإنسانية، و لقام بدور ريادي في تصحيح مسار الحوار، بما يجعله تواصيا بالحق والتسامح والتضامن والتعاون، وأصلا متعدّد الأبعاد بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب، وبين الحضارات الصاعدة و الحضارت الساعية إلى استئناف دورها في توجيه حركة التاريخ، لا تطغى فيهما المصالح على القيم المشتركة.

وإنّ احترام عقائد الآخرين، والتحاور معهم، وقبولهم هو أساس التسامح والأخلاق الكريمة والسلوك الحضاري القويم، فيتدرب الإنسان بذلك على قبول الرأي المخالف بنفس مطمئنة، وصدر رحب، ولسان صادق، فيتهذب إحساسه، فيُحسِن معاملة النّاس سواء في علاقته بأخيه المسلم أو مع غير المسلمين، قال الله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ).[71]

وما يمكن التّوصل إليه في ختام هذا البحث جملة من النتائج من أهمّها :

– أن المصدرين الرئيسين للتربية الإسلامية ونعني القرآن والسنة، يهيّئان لتكوين رؤية قيميّة للفرد وللعلاقات بين الأفراد وللجماعات، وهي رؤية تحترم الطبيعة البشرية بوصفها صبغة الله وفطرته، ويمثّلان التجلّي الأكمل والنهائي لأمر الله وكلمته، باعتبارهما أرضيّة تحلّ أزمات الإنسانيّة، بوصف الإسلام دين الله وكافّة الرّسل .

– أهمية التبصير بقيم الإسلام الزكية ومبادئه النبيلة، ومنها الحوار والتسامح، وأثرهما على الأفراد والمجتمعات، ويكون ذلك من خلال التنشئة الاجتماعية والتربية المدنية والتوجيه الروحي والدّيني خصوصا .

– قيمة التواصل والتعايش والسلم بين الحضارات والثقافات والأديان، وأن لا تكون العلاقات بينها مبنية على التصادم بل على المنافسة دون الصراع .

– ما يُشجع على زرع القيم السامية في الشخصيّة الإنسانيّة وفي المجتمع، والعالم الإنساني، وجود صبغة الله أو فطرة الله الخالق التي فطر الناس عليها، لقوله سبحانه وتعالى: (فطرة اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)،[72] وقول الله عزّ وجلّ : (صِبْغَةَ الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)،[73] بحيث تبقى تلك الفطرة السليمة موجودة رغم عوامل التصادم والصراع .

– قيمة مساندة قوة العلم للرصيد القيمي المساعد على تحقيق الرقي والتقدم في مختلف المجالات .

– أهمية إبراز الصورة السمحة والحقيقية للدين الإسلامي الحنيف، وخاصّة في علاقة المسلمين بغيرهم من الملل والنحل الأخرى، باعتبار أنّ أسلوب الحياة وفق القيم الزكية والمبادئ السامية التي نادى بها الإسلام، يحقق كمال الذات وسعادة الآخرين .

وعليه وفي ضوء ما أسفر عنه البحث يمكن تقديم التوصيات التالية :

– مواصلة التذكير بالقيم الزكية والمبادئ النبيلة التي حثّ عليها الإسلام، وأن لا تكون شعارا يُرفع فقط، بل فعلا منجزا وسلوكا يُعاين في علاقات الناس مع بعضهم البعض، وأن تحل فكرة التعايش أو المنافسة بدل التصادم والصراع .

– التربية على الخير ومجاهدة الميل نحو الشر، وهو ما من شأنه أن يساعد كثيرا على تحقيق كمال الذات الإنسانية وإسعاد الآخرين .

– التربية على التسامح والحوار، وهي تربية لا تلغي سُنّة التنوع والحق في التغاير والاختلاف وتعمل على تحقيق تقدم الإنسانية وسعادتها بإحكام التكامل بين أدوار الأجيال وإخصاب الحوار بين الثقافات والحضارات، لأن عالمنا هو عالم الدار الواحدة، التي ترتبط فيها أمم الأرض جميعا بأربطة تزداد وثوقا يوما بعد يوم، وتمتزج الشعوب امتزاجا متزايدا، وهذه التربية ترمي إلى تحقيق غايتين الأولى تعزيز مناعة كل حضارة وصيانة مرجعيتها، وثانيا مدّ جسور التعايش والتواصل والتعاون والحوار بين الحضارات وفق منهج يوحد ولا يفرق ويدمج ولا يقصي ويكفل تطبيق المشترك الإنساني،[74] لأنّها تربية ترتكن إلى الموائمة بين الثابت والمتحول، والروح والمادة، والهوية والحداثة .

– قيام المنظومة التعليمية على الأصيل والحديث معا، وسبيل المسلمين إلى القوة والمناعة والأخذ بناصية العلم، وامتلاك القدرة على إنتاج المعرفة العلمية، والتصرف في تطبيقاتها التكنولوجية، تصرفا رشيدا، يجعلها قوة تبني الحضارة، وتسير بالإنسان إلى ما هو أسمى في مراتب الإنسانية، ورصيدها القيمي يؤهلها لو ساندته قوة العلم، للقيام من جديد بدور ريادي، في تصحيح مسار الحوار بين الحضارات والأديان والثقافات، بما يجعله تواصيا بالحق والتسامح والتضامن، لا تطغى فيه الصالح والإيديولوجيات على القيم المشتركة، فالمنظومة التعليمية والتربوية لها دور كبير في تعليم الناشئة الحوار فيما بينهم ومع غيرهم وفق منهج يوحد ولا يفرق، فضلا على تقديمها خدمات جليلة للإنسانيّة عموما، سهّلت مجرى الحياة اليومية .

– النظرة النقدية للتراث، بحيث نأخذ ما هو إيجابي ونترك ما هو سلبي مع الملائمة مع روح العصر، بما لا يخلّ بمبدأ، والحثّ على قيم الحوار والتسامح، والاعتماد على العقل، لأنّ العقلانيّة من أسس الحداثة، والإسلام حض على إعمال العقل، وانقطاع الوحي دشن عصر العقل .

– التبصير بقيمة الحرية، وهي أساس التقدم، وهي دافع للحوار وإبداء الرأي، في ظلّ التسامح والتعايش المشترك، فتكون ثقافتنا أقدر على الإبداع .

– تعزيز الثقة بالنفس، لأنّ الإيمان بالذات هو الطريق إلى الحوار والتسامح والتحرر والإبداع .

– الانفتاح على اكتشافات الغرب وفتوحاته، في زمن لم يعد فيه هذا الانفتاح خيارا، بل أضحى ضرورة يمليها واقع العولمة، يقول حسين أحمد أمين: سيكون على المسلمين أن يقرروا بأنّ العالم قد بات اليوم وحدة واحدة وأنه لا سبيل إلى تجنب الاحتكاك بأتباع الديانات الأخرى والثقافات المغايرة، وأنّ من المحتّم قبول النتائج العلمية المتفق عليها ثم وضعها في موضعها السليم حتى لا يضطروا إلى عزلة أو تكفير"،[75] فيجب

أن تنهل ثقافتنا من الثقافات الأخرى، وهذا ما تمثّله العرب في عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، فاعتمدوا الثقافات المختلفة فكانت غنيّة بالتجارب المتنوعة وبالعقلانية، وبقدر الأخذ كان العطاء والإضافة.

– دور الدعاة والعلماء، في توضيح الرؤية الإسلامية، وأن يقوموا بخطوات مهمّة ليمارسوا مسؤولياتهم التاريخية في التبصير بقيم الحوار والتسامح والتعايش المشترك، وأثَر ذلك إيجابا على الأفراد والمجتمعات .

فهل تجد النداءات الداعية إلى الحوار بين الحضارات والثقافات والأديان الآذان الصاغية ؟ وهل يمكن تحقيق حوار بين الحضارات، في ظلّ الفقر والفاقة التي يعيشها بعض دول العالم اليوم ؟ ألا يكون من واجبنا أن نَهُبّ جميعا إلى توحيد الجهود وتحمل المسؤولية المشتركة لنشر ثقافة التسامح والحوار، ونبذ مظاهر التعصّب والانغلاق، تجسيدا لدعوة الإسلام إلى ذلك ؟ .

المصادر والمراجع:

- **كتب** :

1- القرآن الكريم على رواية قالون.

2- أمين (حسين أحمد)، دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين، دار سعاد الصباح، الكويت، 1992 ، ص : 93.

3- التونسي (خير الدين)، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، دار الكتاب المصري،2012، القاهرة، ص : 90.

4- الثعالبي (عبد العزيز)، روح التحرر في القرآن، دار الغرب الإسلامي، 1985، ص : 158.

5- الجابري(محمد)، قضايا الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط : 1، بيروت،1977، ص : 86 .

6- المزين (محمد حسن محمد)، دور الجامات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدي طلبتها من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير غير منشورة،كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، 2009، ص 204.

7- سعيد(ادوارد)، خيانة المثقفين، النصوص الأخيرة ترجمة أسعد الحسن دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع ، 2011، ص : 156.

8- ابن عاشور (محمد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير تونس الدار التونسية للنشر، دون تاريخ ، ج : 26 ، ص : 258 .

9- عبد الناصر(وليد محمود)، حوار الحضارات، الموسوعة السياسية، داري نهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ط : 1، 2007 ، ص : 23 .

10- القرافي الشهاب (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي)، أنوار البروق في أنواء الفروق، دار السلام، 1421هـ/2001 ، ج : 3 ، ص : 910 .

11- ابن منظور (مُحَّد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الخزرجي)، معجم لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص: 218- 219 .

12- الميلاد (زكي)، الجوهري (صلاح الدين)، تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات، دار الكتاب اللبناني، 2014، ص : 245 .

13- النقيد (حمد سيف حيدر)، نظرية نهاية التاريخ وموقعها في إطار توجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط : 1، 2007، ص : 42.

14- هنتنعتون (صامويل)، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، ط: 2، 19999، كتاب النسخة الإلكترونية، من ص : 114 إلى ص : 120 .

- **المجلات** :

1- الإمارة (أسعد)، اللاّعنف والتسامح قمة التوازن النفسي، مجلة النبأ، السنة: 11، العدد: 75، لبنان، 2005، ص:26.

2- عبد الرزاق (مناف فتحي)، التسامح الفكري وعلاقته بالتسامح الاجتماعي، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية ، العدد : 14، العراق، 2014، ص : 382.

3- عبد الوهاب (علي جدة مُحَّد)، وآخرون، تنمية بعض أبعاد التسامح لدى طلاب المرحلة الثانوية الأزهرية، مجلة كلية التربية، بنها، العدد : 96، ج : 2، 2013 .

4- علي (سعيد إسماعيل)، أعمدة الخطاب الإسلامي المستقبلي، مجلة دراسات تربوية، القاهرة مجلد: 10 الجزء : 76 1995، ص: 25.

5- اللهيبي (فائز صالح)، التسامح وقبول المخالف في الفكر العربي الإسلامي، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، المجلد 9، العدد 2، العراق ،2008، ص : 489-490 .

6- محفوظ (مُحَّد)، التسامح وجذور اللاّتسامح "معنى التسامح وآفاق السلم الأهلي"، مجموعات دراسات فلسفة الدين، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد المزدوج (28- 29)، بغداد، بيروت .

- **موقع ومقال على الأنترنات** :

فلسفة المشترك الإنساني ودورها في احتواء الصّدام الحضاري، 29 أكتوبر 2018، على الرّابط : https://www.sasapost.com/opinion/about-human-values/.

الهوامش:

[1] - ابن منظور(مُحَّد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الخزرجي)، معجم لسان العرب، دار صادر، بيروت، ص: 218- 219 .

[2] - سورة الكهف ، الآية : 37 .

[3] - سورة الكهف، الآية : 34 .

[4] - سورة الكهف ، الآية : 37 .

[5] - يُنظر إلى : مجلة الحياة الثقافية، السنة 26 ، العدد 122 ، فيفري 2011 ، وزارة الشؤون الثقافية، الجمهورية التونسية، ص : 07 .

[6] - المصدر نفسه ، ص: 9 و10.

[7] - المصدر نفسه ، ص: 10.

[8] - المصدر نفسه ، ص: 12.

[9] – سورة العصر، الآية : 3 .

[10] – ابن منظور، معجم لسان العرب، دار صادر بيروت، ص: 488-489 .

[11] – ابن عاشور (محمَّد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير تونس الدار التونسية للنشر، بدون تاريخ ، ج : 26، ص : 251 .

[12] – سورة البقرة ، الآية : 256 .

[13] – سورة يونس ، الآية : 99 .

[14] – سورة الكافرون ، الآيتان : 1-6 .

[15] – سورة النحل الآية 125 .

[16] - المزين (محمَّد حسن محمَّد)، دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدي طلبتها من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير غير منشورة ،كلية التربية جامعة الأزهر، غزة ، 2009 ، ص : 204.

[17] - علي (سعيد إسماعيل)، أعمدة الخطاب الإسلامي المستقبلي، مجلة دراسات تربوية، القاهرة مجلد: 10 الجزء : 76، 1995، ص: 25

[18] – ينظر إلى : محفوظ (محمَّد)، التسامح وجذور اللاّتسامح " معنى التسامح وآفاق السلم الأهلي"، مجموعات درسات فلسفة الدين، مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد المزدوج (28- 29)، بغداد، بيروت .

[19] – مصدر سابق ، المزين (محمَّد حسن محمَّد)، دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدي طلبتها من وجهة نظرهم، ص: 223.

[20] – عبد الوهاب (علي جدة محمَّد)، وآخرون، تنمية بعض أبعاد التسامح لدى طلاب المرحلة الثانوية الأزهرية، مجلة كلية التربية، بنها، العدد 96، ج: 2، 2013 .

[21] - مصدر سابق ، المزين (محمَّد حسن محمَّد)، ص : 212 .

[22] - الإمارة (أسعد)، اللاّعنف والتسامح قمة التوازن النفسي، مجلة النبأ، السنة 11، العدد 75، لبنان، 2005، ص : 26.

[23] – اللهيبي (فائز صالح)، التسامح وقبول المخالف في الفكر العربي الإسلامي، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية المجلد، 9، العدد 2، العراق ،2008، ص : 489-490 .

[24] - وطفة (علي أسعد)، التربية على قيم التسامح، مجلة التسامح للدراسات الفكرية والإسلامية ، العدد: 11، 1426هـ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان ص: 18 .

[25] – سورة الحجرات ، الآية : 13 .

[26] – ابن عاشور (محمَّد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، تونس الدار التونسية للنشر، بدون تاريخ، ج: 26، ص : 258 .

[27] – أخرجه أحمد في المسند (23489)، وقال محرّجوه: إسناده صحيح، عن من سمع النّبي، وقال الهيثمي في مجمع الزّوائد: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (586/3) .

[28] –سورة البقرة ، الآية : 143 .

[29] – أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم : 6237، و مسلم في صحيحه، حديث رقم : 2560 .

[30] – أخرجه البخاري في صحيحه ، حديث رقم : 6065، ومسلم في صحيحه، حديث رقم : 2559 .

[31] – سورة هود، الآيتان : 118- 119 .

[32] – سورة النحل ، الآية : 115 .

[33] – مصدر سابق ، ابن عاشور (محمَّد الطاهر) ، ص : 253 .

[34] – سورة الحجرات، الآية : 13 .

[35] – سورة الأعراف، الآية : 158.

[36] – الثعالي (عبد العزيز)، روح التحرر في القرآن، دار الغرب الإسلامي، 1985، ص : 158.

[37] – سورة العنكبوت ، الآية : 46.

[38] – سورة الممتحنة ، الآية : 28 .

[39] – سورة البقرة، الآية : 256 .

[40] – سورة الكافرون، الآية : 6 .

[41] – مصدر سابق، الثعالبي (عبد العزيز) ، روح التحرر في القرآن ، نفس الصفحة .

[42] – مصدر سابق، الثعالبي (عبد العزيز)، روح التحرر في القرآن ، ص: 92 .

[43] – رفاعة رافع الطهطاوي، مناهج الألباب، الأعمال الكاملة ، ج: 1، ص : 328 .

[44] – التونسي (خير الدين)، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2012، ص : 90 .

[45] – المصدر نفسه، والصفحة نفسها .

[46] – سورة المائدة ، الآية : 5 .

[47] – أخرجه أبو داود في سننه، حديث رقم: 2654، دار القلم، بيروت، 1987م .

[48] – أخرجه البيهقي في سننه، تحقيق محمَّد عبد القادر دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ/1990م، ج : 8، ص : 34 .

[49] – القرافي الشهاب (أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي)، أنوار البروق في أنواء الفروق، دار السلام، 1421هـ/2001 ، ج : 3، ص: 910 .

[50] – الثعالبي (عبد العزيز)، روح التحرر في القرآن، ص : 95

[51] – أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب غزو النساء مع الرجال، رقم : 1795.

[52] – سورة الكافرون ، الآية : 6 .

[53] – سورة البقرة ، الآية : 143.

[54] – توما الأكويني أو توماس أكويناس، (1225 / 1274) فيلسوف وكاهن و عالم لاهوت، يحدد الاسم الأكويني أصول أجداده في منطقة

أكوينو في لاتسيو الحالية في إيطاليا، وكان تأثيره على الفلسفة الغربية كبيراً فقد عملتِ الفلسفة الحديثة على الكثير من أفكاره تطويراً وتنقيحاً، كما عارضتِ الكثيرَ منها لا سيما في مجالات الأخلاق، والحق الطبيعي، وما وراء الطبيعة، والنظرية السياسية، وعلى عكس العديد من التيارات في الكنيسة الكاثوليكية في ذاك الوقت تبنى الإكويني العديد من الأفكار التي طرحها أرسطو– الذي دعاه «الفيلسوف»– محاولاً التوفيق بين الفلسفة الأرسطية والمبادئ النصرانية .

[55] – إنجيل لوقا ، إصحاح 14 ، عبارة 23 .

[56] – أغسطينوس (13 نوفمبر28/354 أوت 430)، يُعدّ أحد أهم الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية، كقديس في الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة الأرثوذكسية .

[57] – برنارد لويس (1916 –2018) من مواليد لندن ببريطانيا، هو أستاذ بريطاني–أمريكي، وهو أحد علماء الشرق الأسط الغربيين في جامعة برنستون، وتخصص في تاريخ الإسلام والتفاعل بين الإسلام والغرب، واشتهر خصوصا بأعماله حول تاريخ الدولة العثمانية.

[58] – فرانسيس فوكوياما، هو عالم وفيلسوف واقتصادي سياسي، مؤلف، وأستاذ جامعي أميركي، اشتهر بكتابه: " نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، الصادر عام 1992.

[59] – صامويل فيليبس هنتنغتون (1927– 2008)، هو عالم وسياسي ومفكر أميركي، أكثر ما عُرف به على الصعيد العالمي كانت أطروحته بعنوان صراع الحضارات.

[60] – النقيد (حمد سيف حيدر)، نظرية نهاية التاريخ وموقعها في إطار توجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام العامي الجدي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ، ط: 1، 2007، ص: 42 .

[61] – هنتنعتون (صامويل)، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قنصوة، ط : 2، 19999، كتاب النسخة الإلكترونية، من ص : 114 إلى ص : 120 .

[62] – المصدر نفسه ، ص : 352 .

[63] – سورة البقرة ، الآية : 251 .

[64] – المصدر السابق، هنتنعتون (صامويل)، صدام الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، من ص : 503 إلى ص : 505 .

[65] – سعيد(ادوارد)، خيانة المثقفين، النصوص الأخيرة ترجمة أسعد الحسن، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع 2011، ص : 156 .

[66] – المصدر نفسه ، ص : 157-158.

[67] – الجابري(محمد)، قضايا الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط:1، بيروت،1977، ص: 86.

[68] – المصدر نفسه ، ص : 86 .

[69] – عبد الناصر(وليد محمود)، حوار الحضارات، الموسوعة السياسية، داري نهضة للطباعة والنشر والتوزيع، ط : 1، 2007، ص : 23.

[70] – الميلاد (زكي)، الجوهري (صلاح الدين)، تعارف الحضارات رؤية جديدة لمستقبل العلاقات بين الحضارات، دار الكتاب اللبناني، 2014، ص : 245 .

[71] – سورة البقرة ، الآية : 256 .

[72] – سورة الروم ، الآية : 30 .

[73] – سورة البقرة ، الآية : 138 .

[74] – المشترك الإنساني هو ما يقتسمه النّاس بينهم على اختلاف أعراقهم وثقافاتهم ودياناتهم وحضاراتهم، سواء في الوطن الواحد، أو في أوطان متعدّدة، على مستوى العالم أو على مستوى الكون ككل، والحديث عن مشترك إنساني هو اعتراف ضمني وتسليم مبدئي، بضرورة التعدّديّة والتّنوع والاختلاف، واحترام الكرامة الآدميّة، ودائرة القيم والمبادئ الإنسانيّة، التي تعزّز الحريّة والعدل والإخاء الإنساني، وحسن الجوار والمواطنة العالميّة ودائرة أمن الإنسان والسّلم العالمي، ومناهضة الظّلم والحروب العدائيّة، ودائرة الاعتراف =المتبادل والحوار والتعاون المشترك ودائرة حفظ البيئة الكونيّة، باعتبار أنّ النّاس يسكنون كوكبا واحدا ويستظلّون تحت شمس واحدة، ويتنفّسون هواءا واحدا . يُنظر إلى فلسفة المشترك الإنساني ودورها في احتواء الصّدام الحضاري، 29 أكتوبر 2018، على الرّابط : https://www.sasapost.com/opinion/about-human-values/.

[75] – أمين (حسين أحمد)، دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين، دار سعاد الصباح، الكويت، 1992، ص : 93 .